

## سيد الاستغفار في شرح العزيز الغفار

عن شداد بن أوس رضي الله عنه عن النبي ﷺ سيد الاستغفار أن تقول قال رسول الله ﷺ : " سَيِّدُ اسْتِغْفَارٍ أَنْ يَقُولَ الْعَبْدُ : اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ ، وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ ، أَبوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ ، وَأَبوءُ بِذَنْبِي فَاغْفِرْ لِي ، فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ " ، قال : " من قالها من النهار موقناً بها ، فمات من يومه قبل أن يمسي ، فهو من أهل الجنة ، ومن قالها من الليل وهو موقنٌ بها فمات قبل أن يصبح ، فهو من أهل الجنة " رواه البخاري.

ويجب أن نبحت عن سماه سيد الاستغفار وذلك تحرزا من الوقوع في البدع ، فالشيطان أحرص ما يكون على إضلال الناس .  
ومعنى سيد الاستغفار أي أنه يسود ويتقدم كل صيغ الاستغفار الأخرى في الفضيلة والرتبة ، وهذا مقرر من كلام من لا ينطق عن الهوى .  
والمأمل فيه يجد أن هذا الدعاء قد أشتمل على التوبة والتذلل والإنابة لله سبحانه وتعالى :

قوله ( سيد الاستغفار )

قال الطيبي : لما كان هذا الدعاء جامعا لمعاني التوبة كلها استعير له اسم السيد ، وهو في الأصل الرئيس الذي يقصد في الحوائج ، ويرجع إليه في الأمور .

قوله ( أن يقول )

أي العبد ، وثبت في رواية أحمد والنسائي " إن سيد الاستغفار أن يقول العبد " وللترمذي من رواية عثمان بن ربيعة عن شداد " ألا أدلك على سيد الاستغفار " وفي حديث جابر عند النسائي " تعلموا سيد الاستغفار . "

قوله ( لا إله إلا أنت خلقتني )

كذا في نسخة معتمدة بتكرير أنت ، وسقطت الثانية من معظم الروايات ، ووقع عند الطبراني من حديث أبي أمامة " من قال حين يصبح : اللهم لك الحمد لا إله إلا أنت " والباقي نحو حديث شداد وزاد فيه " آمنت لك مخلصا لك ديني . "

قوله ( وأنا عبدك )

قال الطيبي : يجوز أن تكون مؤكدة ، ويجوز أن تكون مقدره ، أي أنا عابد لك ، ويؤيده عطف قوله ﷺ " وأنا على عهدك " .

قوله ( : ) وأنا على عهدك )

سقطت الواو في رواية النسائي ، قال الخطابي : يريد أنا على ما عهدتك عليه وواعدتك من الإيمان بك وإخلاص الطاعة لك ما استطعت من ذلك . ويحتمل أن يريد أنا مقيم على ما عهدت إلي من أمرك وتمسك به ومنتجز وعدك في المثوبة

والأجر . واشترط الاستطاعة في ذلك معناه الاعتراف بالعجز والقصور عن كنه الواجب من حقه تعالى . وقال ابن بطال : قوله [×] " وأنا على عهدك ووعدك " يريد العهد الذي أخذه الله على عباده حيث أخرجهم أمثال الذر وأشهدهم على أنفسهم ألت بربكم فأقروا له بالربوبية وأذعنوا له بالوحدانية . وبالوعد ما قال على لسان نبيه [×] " : إن من مات لا يشرك بالله شيئا وأدى ما افترض عليه أن يدخله الجنة . "

**قلت :** وقوله وأدى ما افترض عليه زيادة ليست بشرط في هذا المقام لأنه جعل المراد بالعهد الميثاق المأخوذ في عالم الذر وهو التوحيد خاصة , فالوعد هو إدخال من مات على ذلك الجنة .

قال وفي قوله [×] " ما استطعت "

إعلام لأمته أن أحدا لا يقدر على الإتيان بجميع ما يجب عليه لله . ولا الوفاء بكمال الطاعات والشكر على النعم , فرفق الله بعباده فلم يكلفهم من ذلك إلا وسعهم . وقال الطيبي : يحتمل أن يراد بالعهد والوعد ما في الآية المذكورة , كذا قال : والتفريق بين العهد والوعد أوضح .

قوله [×] ( أبوء لك بنعمتك علي )

سقط لفظ لك من رواية النسائي , وأبوء بالموحدة والهمز ممدود معناه أعترف . ووقع في رواية عثمان بن ربيعة عن شداد " وأعترف بذنوبي " وأصله البواء ومعناه اللزوم , ومنه بواه الله منزلا إذا أسكنه فكأنه ألزمه به .

قوله [×] ( وأبوء لك بذنبي )

أي أعترف أيضا , وقيل معناه أحمله برغمي لا أستطيع صرفه عني . وقال الطيبي : اعترف أولا بأنه أنعم عليه , ولم يقيده لأنه يشمل أنواع الإنعام , ثم اعترف بالتقصير وأنه لم يقم بأداء شكرها , ثم بالغ فعده ذنبا مبالغة في التقصير وهضم النفس . قلت : ويحتمل أن يكون قوله [×] " أبوء لك بذنبي " أعترف بوقوع الذنب مطلقا ليصح الاستغفار منه , لا أنه عد ما قصر فيه من أداء شكر النعم ذنبا .

قوله [×] : ( فاغفر لي إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت )

يؤخذ منه أن من اعترف بذنبه غفر له , وقد وقع صريحا في حديث الإفك الطويل وفيه " العبد إذا اعترف بذنبه وتاب تاب الله عليه . "

قوله [×] : ( من قالها موقنا بها )

أي مخلصا من قلبه مصدقا بثوابها , وقال الداودي يحتمل أن يكون هذا من قوله إن الحسنات يذهبن السيئات ومثل قول النبي صلى الله عليه وسلم في الوضوء وغيره ; لأنه بشر بالثواب ثم بشر بأفضل منه فثبت الأول وما زيد عليه , وليس يبشر بالشيء ثم يبشر بأقل منه مع ارتفاع الأول , ويحتمل أن يكون ذلك ناسخا وأن يكون هذا فيمن قالها ومات قبل أن يفعل ما يغفر له به ذنوبه , أو يكون ما فعله من الوضوء وغيره لم ينتقل منه بوجه ما , والله سبحانه وتعالى يفعل ما يشاء . كذا

حكاة ابن التين عنه , وبعضه يحتاج إلى تأمل .

قوله (× : ) ومن قالها من النهار )

في رواية النسائي " فإن قالها حين يصبح " وفي رواية عثمان بن ربيعة " لا يقولها أحدكم حين يمسي فيأتي عليه قدر قبل أن يصبح , أو حين يصبح فيأتي عليه قدر قبل أن يمسي . "

قوله (× : ) فهو من أهل الجنة )

في رواية النسائي " دخل الجنة " وفي رواية عثمان بن ربيعة " إلا وجبت له الجنة " قال ابن أبي جمرة : جمع (×) في هذا الحديث من بديع المعاني وحسن الألفاظ ما يحق له أنه يسمى سيد الاستغفار , ففيه الإقرار لله وحده بالإلهية والعبودية , والاعتراف بأنه الخالق , والإقرار بالعهد الذي أخذه عليه , والرجاء بما وعده به , والاستعاذة من شر ما جنى العبد على نفسه , وإضافة النعماء إلى موجدتها , وإضافة الذنب إلى نفسه , ورغبته في المغفرة , واعترافه بأنه لا يقدر أحد على ذلك إلا هو , وفي كل ذلك الإشارة إلى الجمع بين الشريعة والحقيقة , فإن تكاليف الشريعة لا تحصل إلا إذا كان في ذلك عون من الله تعالى . وهذا القدر الذي يكتفى عنه بالحقيقة . فلو اتفق أن العبد خالف حتى يجري عليه ما قدر عليه وقامت الحجة عليه ببيان المخالفة لم يبق إلا أحد أمرين : إما العقوبة بمقتضى العدل أو العفو بمقتضى الفضل , انتهى ملخصا . أيضا : من شروط الاستغفار صحة النية , والتوجه والأدب , فلو أن أحدا حصل الشروط واستغفر بغير هذا اللفظ الوارد واستغفر آخر بهذا اللفظ الوارد لكن بأصل الشروط هل يستويان ؟ فالجواب أن الذي يظهر أن اللفظ المذكور إنما يكون سيد الاستغفار إذا جمع الشروط المذكورة , والله أعلم .

قال شيخ الإسلام - رحمه الله تعالى - : في قوله عليه السلام : " سيد الاستغفار أن يقول العبد : اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت " . قد اشتمل هذا الحديث من المعارف الجليلة ما استحق لأجلها أن يكون سيد الاستغفار , فإنه صدره باعتراف العبد بربوبية الله , ثم ثناها بتوحيد الإلهية بقوله : (( لا إله إلا أنت )) . ثم ذكر اعترافه بأن الله هو الذي خلقه وأوجده ولم يكن شيئا , فهو حقيق بأن يتولى تمام الإحسان إليه بمغفرة ذنوبه , كما ابتدأ الإحسان إليه بخلقه . ثم قال : " وأنا عبدك " اعترف له بالعبودية .

فإن الله تعالى خلق ابن آدم لنفسه ولعبادته , كما جاء في بعض الآثار : ( يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى : ابْنِ آدَمَ ! خَلَقْتُكَ لِنَفْسِي , وَخَلَقْتَ كُلَّ شَيْءٍ لِلْأَجْلِكَ , فَبِحَقِّي عَلَيْكَ لَلَا تَشْتَغَلْ بِمَا خَلَقْتَهُ لَكَ عَمَّا خَلَقْتَهُ لَهْ . ) ( وفي أثر آخر : ) ابْنِ آدَمَ ! خَلَقْتُكَ لِعِبَادَتِي فَلَا تَلْعَبُ , وَتَكْفَلْتُ لَكَ بِرِزْقِكَ فَلَا تُتَعَبُ . ابْنِ آدَمَ ! اطَّلِبْنِي تَجِدْنِي , فَإِنْ وَجَدْتَنِي وَجَدْتَ كُلَّ شَيْءٍ , وَإِنْ فَتِكَ فَاتَكَ كُلَّ شَيْءٍ , وَأَنَا أَحَبُّ إِلَيْكَ مِنْ كُلِّ

شيء ( . فالعبد إذا خرج عما خلقه الله له من طاعته ومعرفته ومحبته والإنابة إليه والتوكل عليه ، فقد أبق من سيده ، فإذا تاب إليه ورجع إليه فقد راجع ما يحبه الله منه ، فيفرح الله بهذه المراجعة. ولهذا قال ❑ يخبر عن الله : ) **لله أشد فرحا بتوبة عبده من وابد رآحلته عليها طعامه وشرابه بعد ياسه منها في الأرض المهلكة ، وهو سبحانه هو الذي وفقه لها ، وهو الذي ردها إليه .** وهذا غاية ما يكون من الفضل والإحسان ، وحقيق بمن هذا شأنه أن لا يكون شيء أحب إلى العبد منه. ثم قال ❑ : **" وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت "** فالله سبحانه وتعالى عهد إلى عباده عهدا أمرهم فيه ونهاهم ، ووعدهم على وفائهم بعهدده أن يشيهم بأعلى المثوبات ، فالعبد يسير بين قيامه بعهد الله إليه وتصديقه بوعدده. أي أنا مقيم على

عهدك مصدق بوعدك. وهذا المعنى قد ذكره النبي صلى الله عليه وسلم ، كقوله ❑ : **( من صام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه ) .** والفعل إيمانا هو العهد الذي عهدده إلى عباده ، والاحتساب هو رجاؤه ثواب الله له على ذلك ، وهذا لا يليق إلا مع التصديق بوعدده. وقوله **( إيمانا واحتسابا )** منصوب على المفعول له ، إنما يحمله على ذلك إيمانه بأن الله شرع ذلك وأوجبه ورضيه وأمر به ، واحتسابه ثوابه عند الله ، أي يفعله خالصا يرجو ثوابه.

وقوله : **" ما استطعت "** أي إنما أقوم بذلك بحسب استطاعتي ، لا بحسب ما ينبغي لك وتستحقه علي. وفيه دليل على إثبات قوة العبد واستطاعته ، وأنه غير مجبور على ذلك ، بل له استطاعة هي مناط الأمر والنهي والثواب والعقاب. ففيه رد على القدرية المجبرة الذين يقولون : إن العبد لا قدرة له ولا استطاعة ، ولا فعل له البتة ، وإنما يعاقبه الله على فعله هو ، لا على فعل العبد. وفيه رد على طوائف المجوسية وغيرهم.

ثم قال ❑ : **" أعوذ بك من شر ما صنعت "** فاستعاذته بالله اللتجاء إليه والتحصن به والهروب إليه من المستعاذ منه ، كما يتحصن الهارب من العدو بالحصن الذي ينجيه منه. وفيه إثبات فعل العبد وكسبه ، وأن الشر مضاف إلى فعله هو ، لا إلى ربه ، فقال ❑ : **( أعوذ بك من شر ما صنعت ) .** فالشر إنما هو من العبد ، وأما الرب فله الأسماء الحسنى ، وكل أوصافه صفات كمال ، وكل أفعاله حكمة ومصلحة. ويؤيد هذا قوله عليه السلام : **( والشر ليس إليك )** في الحديث الذي رواه مسلم في دعاء الاستفتاح.

ثم قال : **" أبوء لك بنعمتك علي "** أي أعترف بأمر كذا ، أي أقرب به ، أي فأنا معترف لك بإنعامك علي ، وإنني أنا المذنب ، فمك الإحسان ومني الإساءة. فأنا أحمدك على نعمتك ، وأنت أهل لأن تحمد وأستغفرك لذنوبي. ولذا قال بعض العارفين : ينبغي للعبد أن تكون أنفاسه كلها نفسين : نفسا يحمد فيه ربه ، ونفسا يستغفره من ذنبه. ومن هذا حكاية الحسن مع الشاب الذي كان يجلس في

المسجد وحده ولا يجلس إليه ، فمر به يوماً فقال : ما بالك لا تجالسنا ؟ فقال :  
إنني أصبح بين نعمة من الله تستوجب علي حمدا ، وبين ذنب مني يستوجب  
استغفارا ، فأنا مشغول بحمده واستغفاره عن مجالستك. فقال : أنت أفقه عندي من  
الحسن. ومتى شهد العبد هذين الأمرين استقامت له العبودية ، وترقى في درجات  
المعرفة والإيمان ، وتضاغرت إليه نفسه ، وتواضع لربه ، وهذا هو كمال العبودية ،  
ويه يبرأ من العجب والكبر وزينة العمل.  
والله الموفق الهادي ، والحمد لله وحده ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله  
وصحبه وسلم ، ورضي الله عن أصحاب رسول الله أجمعين ، وحسبنا الله ونعم  
الوكيل.

كاتب المقالة : الشيخ / محمد فرج الأصفر

تاريخ النشر : 22/10/2010

من موقع : موقع الشيخ الدكتور/ محمد فرج الأصفر

رابط الموقع : [www.mohammedfarag.com](http://www.mohammedfarag.com)